نـافـذة

الخطأ عمداً..

من البديهيات في الحياة أن ترتكب أخطاء عن قصد أحياناً، وأحياناً أخرى عن غير قصد. هذه الحالة تنطبق، من حيث المبدأ، على المجتمعات كافة كما تنطبق على الأفراد كافة.
ومن البديهيات أيضاً أن يكون جزاء الخطأ المرتكب عمدا مختلفا عن جزاء الخطأ المرتكب عن غير عمد، ليس حسب منطق القانون، بل أيضاً حسب المنطق الجمعي العام.
ولكن، ماذا عن اختلاف الرؤية إلى مثل هذه المعادلة في سياق إصدار الحكم على مثل هذه الأمور بتأثير عاملي المكان والزمان، سواء لتبرير أو إدانة المخطئ في حال وقوع الخطأ وما يكون قد ترتب عليه من نتائج؟
لا ريب في أن لاختلاف زوايا الرؤية لوقائع الحياة عموماً دوره في نوع الحكم الذي يصدر على مرتكب الخطأ، سواء باسم القانون أو المنطق أو العرف وسوى ذلك، ولهذا نردد أحياناً مقولة: إنه كثيراً ما يظلم بريء ويبرأ ظالم عن طريق الخطأ. ولكن ما الذي يجعل تداعيات خطأ مضاعف كهذا إذا ما ارتكب عن عمد.
في المجتمعات التي لا تدين بعوامل الخطأ والصواب، طبقا للقوانين الوضعية أو تلك المستمدة مما تعارف عليه الناس بحكم توارث التقاليد، فإن خطأ لا بد أن ينتج عنه خطأ، وبذلك تضيع الحقيقة، وبالتالي قد يظلم بريء حقا وقد يبرأ ظالم حقا. ومن هنا يراهن أحدنا، دائما، على مصداقية القاضي وقدرته على معرفة أين الحقيقة التي تجعله لا يرتكب الخطأ الذي، هو نفسه، يحاول أن يتعرف إليه بين طرفين يتبادلان التهم، أحدهما يدين الآخر، بانتظار صدور الحكم له أو عليه.
هذه المسألة غالبا ما تطرح على بساط المناقشة، في سياق البحث عن دوافع جعل أحد الأطراف المتنازعة أنه، بوجهة نظره على حق، ولا تجد لها حلا إلا باللجوء إلى القانون وإلى قدرة القاضي على تلمس من الذي على صواب ومن الذي على خطأ، ولدور القاضي أهمية بالغة وخصوصاً عندما يكون مسندها الضمير الحيّ، وبذلك يكون الحكم على مرتكب الخطأ حقا، حكما فيه بعد إنساني، وغير قابل للاستئناف كما يقول المنطق.
وكما هو الحال بالنسبة للأفراد، من الطبيعي أن يكون الحال على هذا النحو بين الدول، وإن تكن معرفة أين الصواب وأين الخطأ أحياناً من المستحيلات لعدم خضوع الخلافات بينها لقانون معترف به عالميا وبالتالي قادر على فرض نفوذه في ساحات الخلاف. والزمن الراهن الذي نعيشه، نحن في سورية، على مدى أربع سنوات ونصف السنة مثال على عجز قانون كهذا ملزم للجميع أن يحترموه، كي لا تتفاقم تبعاته على مستوى المكان وما وراءه مع مرور الوقت.
في سياق خطورة ارتكاب الأخطاء الخطرة، يقول العالم والناقد السويسري هنري فريدريك آميل: «يكون الخطأ أكثر خطراً إذا ما تضمن حقيقة أكثر». والحقيقة هنا ليست بخافية على أحد ممن يتتبع فصول المؤامرة التي تشن ضدنا وضد الدول والشعوب غير القابلة للخضوع لإرادة أعدائها.

د. اسكندر لوقا

الإستراتيجية الأميركية في الشرق الأوسط

من إيزنهاور إلى بوش وأوباما إستراتيجية متصلة لا تتغير

إسماعيل مروة

تنقسم الدراسات التي تتناول السياسة الأميركية في الشرق الأوسط والعالم إلى قسمين، الأول يتناول السياسة الآنية المتحركة المتغيرة كل يوم، ويقوم بها الإعلاميون المحللون الذين يركضون لاهثين وراء كل تصريح أو قول أو سياسة للاستنتاج، وهذا الصنف تكتظ به مجتمعاتنا، وكل يوم يولد فهيم في قراءة السياسة الأميركية.. الثاني يتناول الخطط والإستراتيجيات التي تحكم السياسة الأميركية، وهذا القسم غالباً ما يكون من الكتاب الغربيين، والأميركيين بوجه خاص، وهم الذين يتتبعون السياسة الأميركية من دون اعتناء بانتخابات وأحزاب، بل باعتناء كبير بدولة المؤسسات الأميركية التي لا تحيد قيد أنملة عن الإستراتيجيات بعيدة المدى المستندة إلى المفكرين ومراكز الأبحاث، سواء كان هذا الحاكم ديمقراطياً أم جمهورياً.. ومن هنا استقبلت بسعادة كتاب الدكتور رياض حداد «الإستراتيجية الأميركية في الشرق الأوسط» فهو من الكتب القليلة الأكاديمية والعربية التي لا تكتفي بقراءة السياسة، بل تدلف إلى عمق الرؤى الإستراتيجية لهذه السياسة، وتحليل الإستراتيجيات قد يمنحنا فرصة للنظر إلى مستقبل بعيد، قد نتمكن من النهوض والمماشاة والوصول إلى قدر لائق في فهم الإستراتيجيات، وإن عجزنا عن مماشاتها.

من التعريفات إلى الأمن القومي

جاء الكتاب في ٣٤١ صفحة من القطع الكبير، وفي ستة فصول، الأول مجموعة تعريفات ومفاهيم ضرورية للغاية قبل الدخول في الكتاب، وتمثل هذه المفاهيم عدة الباحث والقارئ معاً في الدخول إلى الإستراتيجية، ومن غيرها من الصعب الوصول إلى فهم عميق- والثاني زعزعة الأمن الإقليمي، والثالث الأهداف المضللة، والرابع النظام العالمي الجديد والمتغيرات الدولية، والخامس معالم إستراتيجية أميركا المستقبلية في الشرق الأوسط، والسادس الأمن القومي في سياسة أوباما لعام ٢٠١٠ إضافة إلى مجموعة من الملاحق التي مرت بنا ولم نحتفظ بها ولم ندرسها، وقد يشكل وجودها ملاحق فرصة لإعادة قراءتها، وفهم الإستراتيجية التي لا تقوم على المؤامرة وحدها، ولكنها قد تتعثر بالمؤامرة التي تجدها في طريقها وفي أذهاننا.. ربما عندما نقرأ ما كتبه خبير من أبناء لغتنا نقف عن الانشغال بمن يأتي إلى البيت الأبيض للتهليل له أو شتمه، ونكتفي بما نحن فيه ولا نترقب حزباً جمهورياً أو ديمقراطياً، رئيساً أبيض أو أسود، آسيوياً أو إفريقياً، صديقاً لنا أو خصماً، له أصول إسلامية أو له أصول يهودية.. إن الإستراتيجية وقراءة الرؤى الإستراتيجية تبعدنا عن كل الأوهام الارتجالية التي لم نخرج منها حتى اليوم على صعيد الحكام والجماهير، العامة والنخبة... كلنا في الفهم لم نتوقف عند عمق التخطيط الاستراتيجي، لذلك يتكرر عندنا مسلسل الخيبات، وتتبدل الوجوه والأحزاب عندهم ولا تتغير الإستراتيجية، ونحن لا نملك إلا التصفيق أو الشتم!!

التعريفات والمفاهيم

بدأ المؤلف بتعريفات تضيف الكثير إلى القارئ، فعندما يتم الحديث عن الإستراتيجية نجد فهماً متعدداً بتعدد الأشخاص، فما بالنا من الدارسين؟ استعرض المؤلف مجموعة التعريفات للإستراتيجية، وفي عدد مهم من الدراسات، ليستخلص التعريف الشامل «فن التحكم، والإفادة من موارد الدولة أو من ائتلاف الدول، بما في ذلك القوات المسلحة لتحقيق غاية محددة تتعزز عندها المصالح الحيوية، وتظل في مأمن من الأعداء الحقيقيين أو المحتملين» وهذا التعريف المأخوذ عن إدوين ميد إيرل يظهر مفهوم الإستراتيجية ويشرح لنا الأسباب التي حدت إلى صناعة أحلاف وائتلافات على الصعيد الدولي، ومن ثم يضع المؤلف مجموعة من الحسابات التي يضعها صانعو الإستراتيجية لتحقيق أعلى مستوى لها، وباستخلاص بارع يقول المؤلف «السياسة الدولية محصلة شد وجذب للشؤون المحلية، والقادة وليس الأمم هم الذين يصنعون القرارات الخاصة بالسياسات، وإنما يفعلون ذلك بغية تعزيز احتمالات بقائهم في السلطة» وذلك باستخلاص من شيرل شويننغر.
ثم ينطلق إلى الإستراتيجية الأميركية، والإستراتيجية الكبرى والعسكرية والسياسية، ويدخل في عمق قد لا يعرفه الكثيرون، وذلك من خلال دراسات أميركية «الأميركيون ليسوا إستراتيجيين طبيعيين عندما يتعلق الأمر بالشؤون الخارجية، وربما يعود السبب في ذلك إلى الشكل الذي اعتمدوه لحكومتهم.. إن فصل السلطات في صلب الدستور لا يزال يشكل دعوة للصراع حول السياسة الخارجية، ويشكل نقيضاً لأنظمة دمج السلطات مثل تلك المعتمدة في بريطانيا العظمى».
وفي نقل مهم يشير المؤلف إلى الرؤية القومية الأميركية التي تؤثر تأثيراً فعالاً في الرؤية الإستراتيجية الأميركية في الخارج «القومية الأميركية قائمة على قيم سياسية وليس على أساس التفوق العرقي أو الثقافي، ولأن كلاً منها بمقدورها أن تصبح أميركية، فهي جميعاً، أي هذه القوميات، تعتقد أنها قابلة للتطبيق عالمياً، بل مرحب بها خارج بلادها».
هذه التعريفات والمفاهيم ضرورية للغاية في الانطلاق إلى الأسس التي تعتمدها الإستراتيجية الأميركية.

الإستراتيجية والتطور

ترتكز إذاً الإستراتيجية على زعزعة الأمن الإقليمي، ويعود المؤلف إلى مبدأ إيزنهاور الذي وضع قبل عقود، والذي لا يزال متحكماً في هذه الإستراتيجية، ما يدل على أن الإستراتيجية تقوم على فكر مؤسسي لا ينتهي بانتهاء فترة رئاسية، وبداية فترة أخرى، فالرؤية كما يشير المؤلف إستراتيجية بعيدة المدى، ويتم وضع الأسس الآنية التي لا تخرج عن الرؤية، ومن هنا يدخل إلى كتلة الأحداث والحروب التي قادتها واشنطن لتحقيق الإستراتيجية بعيدة المدى «الديمقراطيات، هجمات ١١ أيلول، الشرق الأوسط الجديد، النفط، العراق، القرن الأميركي الجديد».
وأكثر ما لفت انتباه القارئ في هذا الكتاب المعمق قراءته في عهد أوباما وذلك نظراً لاختلاف الرؤى بين من يراه عهداً هزيلاً أو قوياً، وما عرضه الكتاب يبين أن أوباما كان حلقة في سلسلة الرؤية الإستراتيجية، فخطابه الذي هلل له العرب والمسلمون في جامعة القاهرة، قدم المؤلف قراءة له وبين سطوره، ليظهر أن هذا الخطاب هو بداية عاصفة الربيع العربي، ولعل ما وصل إليه المؤلف بأن سياسة أوباما هي امتداد لسياسة بوش ولو بمظهر مختلف هي من الصوابية بمكان، والذي يؤكد عمق القراءة أن ما مر من قراءة سياسة أوباما تجاه الشرق الأوسط والتي كثفت في خطابه في جامعة القاهرة أن الوقوف عند هذا الخطاب لم يكن عادياً، لذلك تركه المؤلف كاملاً في الملاحق، بل أردفه بخطاب لنابليون عند احتلال مصر.
إن أهم ما نأخذه في هذا الكتاب المهم أن السياسة الأميركية من الفوضى الخلاقة إلى السياسة الناعمة ظاهرياً لأوباما لم تكن إلا وفق رؤية إستراتيجية تتواصل فيها أساليب تطبيق السياسات الخارجية من دون النظر إلى الأشخاص المتعاقبين.
كتاب «الإستراتيجية الأميركية في الشرق الأوسط» لمؤلفه د. رياض حداد دراسة جادة موضوعية تبتعد عن الانفعال والإنشاء، لتدخل في عمق القضايا، ولتبرز للقارئ العربي الرؤية الإستراتيجية في سبيل الوصول إلى رؤى مواجهة فهل نفعل؟

> من خطاب جامعة القاهرة استمرار للرؤية وبلغة أخرى!

بين النقد البنّاء والهدّام

الابتعاد عن الهوى والتعصب والأحكام المسبقة والتجرد والإنصاف

الناقد البنّاء يستخدم أساليب علمية.. على حين يقوم الهدام على السب والتجريح

وائل العدس

من المتعارف عليه تاريخياً أن كلمة «النقد» استعملت بمعنى فَرز الدراهم والدنانير؛ لبيان الصحيح والزائف منها، وتلك مهارة يختص بها الصيارفة، ثم انتقلت إلى نقد أخلاق الناس وعاداتهم، وبيان ما يتحلّون به من كريم الصفات، وما يعاب على أحد من السلوك، ثم اتسع اللفظ حتى شمل مجالات عديدة. والنقد العلمي هو دراسة الأعمال وتفسيرها وتحليلُها وموازنتها بغيرها المشابه لها، والكشف عما فيها من جوانب القوة والضعف، والجمال والقبح، ثم الحكم عليها ببيان قيمتها ودرجتها.
ولكن عند نقد الآخرين لا تظن أنهم قد يستجيبون له حتى وإن كان في صورة جميلة زاهية، ففي كثير من الحالات يمتنع الإنسان عن قبول الملحوظات التي يظهرها له الناس بسبب تصوره أن الأمر على خلاف ما يعتقده الناس أو أن هناك مبررات أخرى. ومن السهل جداً انتقاد الآخرين واكتشاف أخطائهم وإبرازها، ولكن من الصعب بمكان إكمال البناء وإتمام النقص وسد الثغرات.
وبكل الأحوال لا يمكن أن تملك الحقيقة المطلقة دائماً، فإن كان لديك الحق في بعض القضايا فلا يعني ذلك امتلاكك للحقيقة المطلقة، والحق لن يقبل إذا كان مصحوباً بتعال وازدراء للآخرين.

النقد في اللغة

يأتي النقد في اللغة العربية بمعنيين، الأول نقد الشيء بمعنى نقره ليختبره أو ليميز جيده من رديئه، والثاني إظهار العيب والمثالب، وغمط الناس وبخسهم أشياءهم.
ويقال: فلان ينقد الناس، أي يعيبهم ويغتابهم وأهل العلم قسموا النقد إلى قسمين على نحو ما ورد في اللغة، فسموا أحدهما: النقد البنّاء، وهو النقد الذي يقوّم به صاحبه الخطأ، ويحاول إصلاحه.
وسمّوا الآخر: النقد الهادم (أو الهدام)، وهذا فيه إظهار عيب الآخرين للنيل منهم وتشويه سمعتهم والطعن في نياتهم من غير حجة ولا برهان.

النقد الإيجابي

النقد الإيجابي عملة نادرة، فقد يستغرق الإنسان عمراً طويلاً وزمناً مديداً كي يجد شخصاً يقدم له نقداً إيجابياً بنّاءً، ولا يأتي عبر الثناء والمديح والتزكية ولكنه بذل جهد لوصف عمل ما وذكر سلبياته وإيجابياته بوجه منضبط، فهو الذي يدفع المركبة إلى الأمام ويعطي الإنسان قدرة على الإنتاج والتطور، ويحوم حول فكرة موضوعية يمكن قياسها، بعيداً عن الدخول إلى النيات والمقاصد.
ولإيجاد نقاط تواصل لابد أن يكون النقد حول نقطة جوهرية واضحة ويكون البناء عليها تأصيلاً وتفريعاً، فالناقد الصادق يتجه نقده إلى صاحب العمل، كيف يطوره ويرتقي به من دون أن يدمره، فلا يكون هدفه إسقاط الآخرين أو إبراز ذاته من خلال نقده.
النقد البنّاء بعيد عن الهوى والتعصب والأحكام المسبقة، بل لابد أن يكون هناك تجرد وإنصاف ومحاولة بناء النقد على أصول عقلية وعلمية كي ينضبط الأمر.
كثير من الجدل يبرز ويظهر بسبب أن النقد كان سببه الجهل أو الهوى والتعصب، فلكي يكون النقد مقبولاً ومحترماً لابد أن يكون مبنياً ومرتكزاً على أصول علمية صحيحة بعيدة عن الجهل والهوى.
لا يتعسف الناقد الصادق في عباراته ويغلظ في أقواله، بل ينتقي أعذب الألفاظ وأحسنها، فلكي يكون النقد بنّاء لابد أن يكون هناك درجة من التواضع والاحترام للآخرين، واحتمال أن يكون الصواب مع الآخرين والخطأ معك.

فروقات

الناقد البنّاء يستخدم أساليب علمية، في حين الهدام يقوم على السب والتجريح الشخصي، ويقدم البنّاء نقداً متخصصاً وعلمياً، قائماً على دراسة تخصصه، في حين الناقد الهدام ينتقد أفكاراً لا يلم بها ويتكلم في غير مجاله.
البنّاء يحرص على نصيحة الأشخاص ويلمح قبل أن يصرح، وهدفه الحقيقة المجردة وتحسين الأوضاع، في حين الناقد الهدام يتعمد فضيحة الأشخاص، وهمه أن يكسب الموقف ويثبت أنه انتصر في النهاية.
الناقد البنّاء هو الذي يؤكد إيجابيات الفكرة وتوضيح سلبياتها، ويرى أن رأيه يمكن أن يؤخذ به، ويمكن رفضه، في حين الهدام لا يرى في أي فكرة سوى الجانب السلبي فقط، ويرى أن رأيه بمنزلة حكم نهائي غير قابل للنقض.
الناقد البنّاء هو الذي يرحب بجميع الآراء المطروحة ويناقشها، له رأي موحد حول الفكرة بغض النظر عن صاحبها، ويركز على الفكرة ويحاول أن يقدم بدائل للتطوير، في حين الناقد الهدّام غير مستعد لسماع رد صاحب الفكرة، ولديه ازدواجية، وينتقد حسب مكانة الأشخاص، ولا يهمه تقديم حلول.
الناقد البنّاء يعتبر النقد مرحلة من مراحل العمل والإنجاز، ويفصل بين الفكرة وبين غيرها من الأفكار التي لا علاقة لها بالموضوع، وممكن أن يتقبل الأفكار الإيجابية الأخرى لنفس الشخص الذي انتقده، في حين الهدّام يكرر نقد نفس الموضوع في أماكن وأوقات لا علاقة لها به، وإذا انتقد شخصاً فإنه يرفض كل أفكاره الأخرى مهما كانت إيجابية.

شروط لا بد من توافرها

لا بد من توافر شروط في الناقد قبل أن يوجه نقده، وأهمها الموهبة النقدية وهي قدرة يمنحها الله لبعض الناس، يستطيعون بها أن يَفحصوا الأشياء فحصاً دقيقاً، فيكتشفوا عيوبها الخفيَّة.
إضافة إلى الأهلية والكفاءة وذلك من خلال مراعاة التخصص، وأيضاً الثقافة والخبرة بمعنى أن يكون الناقد ذا ثقافة واسعة متنوعة ومتعددة في الميادين العلمية المختلفة.
ولا بد له أن يتسم بالعدالة والإنصاف من خلال الابتعاد عن التحيُّز والتعصب والمجاملة، وأن يحكم على عناصر العمل وَفقَ الصفات التي تتصف بها حقيقته، وأن يعلِّل أحكامه، فيبين الأسباب التي جعلَته يحكم بالجودة أو الرداءة، وعليه أن يحترس من أن تدفعه عاطفته أو ميوله الشخصية أو العلمية إلى الإطراء الكاذب أو بخس حقِّ المجتهد.

متى يكون النقد مرفوضاً؟

عندما يتجاوز الناقد حدود الأدب، وخاصة إذا كانت ألفاظه جارحة، وتسيء إلى الشخص نفسه ولأهله لا إلى فكرته أو مشروعه.
أيضاً عندما يتجاوز النقد إلى الهجوم على المقدسات، وعندما يقدم بأسلوب غاضب، ويمتهن كرامة الشخص، وعندما يكون بلا مناسبة، حينئذ سيكون النقد في غير مكانه.
ومن أهم آداب النقد الإخلاص بتوافر سلامة النية وحسن القصد، والتمسك بنبل الغاية من النقد، ونبذ التعصب ولو كان للحق، وترك ازدراء المخالف ولو كان مخطئاً، إضافة إلى الأمانة في الحكم بذكر ما له وما عليه، وفضائله ومساوئه، والتزام الأدب، وتَجنب نهج التحدي.